

الباب الثالث

اسمبانيا العربية الشائرة

(٢٣٨ - ٥٣٠٠) (٨٥٢ - ٩١٢ م)

قام صراع عنيف في أثناء هذه الفترة بين الحكومة الأميرية في قرطبة وبين حكام الأقاليم في أنحاء الأندلس العربية ، وبذل كل طرف منهما الجهود الجبارة للوصول إلى بغيته ، ووقعت البلاد بأسرها في حروب طاحنة أهلكت النسل والزرع والضرع ، وقاست الحكومة الأموية أهوالا على أيدي الثوار الذين أحاطوا بها من كل جانب ، وكادوا ينتزعون السلطة من أيديها ويقيمون حكومات اقليمية مستقلة عنها في كل مظاهر السلطان والنفوذ ، وقاد هذه الثورة زعماء قادرون عريقون في الحسب والنسب ، وأسرع نصارى الشمال وتدخلوا في شؤون الأندلس الداخلية وأمدوا الثورة بكل ما استطاعوا من رجال وأموال فاستفحل أمرها ، وأصبحت شرّاً مستطيراً على البلاد والعباد ، وهب الأمير الأموي ومن حوله من الأنصار والقواد يكافحون للاحتفاظ بالسلطة المركزية كفاح المستميت ، وطال أمد الثورة ، وأصبحت خزينة الدولة خاوية على عروشها ، وقلت الأقوات وزاد الغلاء وعم البلاء ، وأصبح لا محيص عن تمزق ملك عبد الرحمن الداخل وسقوط دولة بني أمية في الأندلس ، ولكن سرعان ما تبدلت الحال وظهرت بوادر الفرج بصعود عبد الرحمن الثالث عرش البلاد ، وكانت الثورة قد فقدت حدةها بموت زعمائها فاستطاع الملك الشاب استرداد مجد الأمويين بالأندلس واليك التفصيل :

الفصل الأول

عصر محمد بن عبد الرحمن : (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) (٨٥٢ - ٨٨٦ م)

مات عبد الرحمن فجأة قبل أن يختار أحد أبنائه ولياً للعهد ، وكان له ولدان عبد الله بن الملكة طروب ومحمد ، فاعلق الخصيان باب القصر حتى لا يتسرب خبر الوفاة الى الخارج ، وعقدوا مجلساً تحت رئاسة أحدهم أبي المفرح وبعد المشاورة قر رأيهم على اسناد منصب الامارة إلى محمد لحسن سيرته وصلاحه وتقواه ، وحمل الخصى سعدون القرار وذهب إلى محمد ومعه خاتم الامارة إلى قصره في الهزيع الأخير من الليل ، وأعلمه بوفاة أبيه وانعقاد الرأي على المناداة به ملكاً ، فارتاب محمد في الأمر وظن أن سعدونا أرسل من قبل أخيه عبد الله لاغتياله ، ولكن سعدونا أكد له صدق رسالته ، وطلب اليه النهوض والذهاب إلى قصر الامارة فوراً ، فأجاب محمد الطلب واحتال على الحراس حتى دخل القصر قبيل الفجر وأخذ البيعة لنفسه على من حضر ، وأعلن نفسه أميراً في الصباح

يقول دوزي : « اعتلى محمد عرش الامارة وغير سيرته الاولى فقد طاب له أن يمضي سحابة يومه في قصر الرصافة ، ويكثر من الشراب وأظهر أنانية وضعف عقل في تصرفاته ، وكان أول أعماله أن أنقص مرتبات الموظفين وقلل أعطية الجند ، ثم حرم البلاد من خدمات الأكفاء من وزراء أبيه . وعين أحداثاً تعوزهم التجارب نظير أخذ نصيب من رواتبهم ودخلهم ، وكان بخيلاً حريصاً على أموال الدولة لم يسمح لأحد بمشاركته في تدبيرها ، وكان يحاسب وزير المال

على درهم نقص من دخل قدره مائة الف دينار
كرهه الناس لموقفه هذا عدا جماعة الفقهاء ، وذلك لانهم رأوه شديد الغيرة
على الدين الاسلامى يستطيع كبح جماح المسيحيين المتعصبين ، ولما شعر بتأييد
هذه الطائفة له طرد كافة الموظفين والجند النصارى ولم يبق فى خدمته الا جوميز ،
ثم خالف سياسة آبائه فى نظرية التسامح الدينى وصمم على إقامة الاسلام وتأييده
بكل ما استطاع من قوة ، فأمر بهدم ما كان قد بنى من الكنائس وما كان باقيا
منها ثم أخذ ينشر الاسلام بين رعاياه واضطهد من لم يعتنقه من النصارى فدخله
الكثيرون خوفاً »

وقد اعتنق جوميز الاسلام حتى يحصل على منصب المتصرف ببيت المال
الذى خلا بوفاة شاغله عبد الله بن أمية ، وقد قلده إياه الأمير بعد اسلامه ، وأخذ
جوميز يحافظ على إقامة الشعائر الدينية فى أوقاتها ولم ينقطع عن الصلاة فى الجامع
فرضاً واحداً فاطلق عليه الفقهاء اسم « إمامة الجامع » وسمى ابنه عمر .
القضاء على حركة الاستشهاد ومحاربة طليطلة :

غضب يولوجيوس غضبا شديدا بسبب ما حل بنصارى قرطبة ، وذهب إلى
طليطلة وأخذ يخطب بين أهله خطبه النارية حتى أثارهم على الأمير ، واختاروا
زعيا من بينهم يسمى سندولا ، وقبضوا على حاكم المدينة العربى وأنذروا محمداً
بأنهم سيقتلونه إن لم يطلق يطلق سراح الرهائن الموجودة لديه ، فأجاب الأمير
طلبهم وأطلق سراح الرهائن حتى يتقد الحاكم فأطلقوه وأجبروا الحامية العربية
على مغادرة المدينة .

جهز محمد الجيوش وأرسلها إلى قلعة رباح فى سنة ٢٣٩ هـ (٨٥٣ م) نحث
قيادة أخيه الحكم لاصلاح اسوارها التى خربها أهل طليطلة ، ثم تقدم نحو طليطلة

بعد أن رم أسوار القلعة ، وكان الأمير قد سير جيشا آخر عليها ، فخرج أهل طليطلة على الجيوش الأميرية وهزموها وقتلوا عددا كبيرا من جند المسلمين ثم زحفوا على قرطبة فغضب الأمير وجمع جيوش الدولة وخرج على رأسها لمعاقبة الثوار وذلك في السنة التالية ، ولما علم سندولا الخبير استنجد بأردونو الاول ملك ليون فأمدّه بجيش عظيم بقيادة جاتون ، ويقول ابن خلدون ان ملك نفارا أرسل أيضا نجدة لشد أزر النصارى

تقدم محمد بالجيش نحو طليطلة ، وتقهقر الحلفاء من النصارى واعتصموا بأسوار المدينة الحصينة وحاصروهم الأمير بجند ، ثم زحف على المدينة بقوة صغيرة بعد أن أعد كميناً لهم بوادى سليط ، ولما رأى جاتون قلة العدد الذى يحاصر المدينة تشجع وفتح الأبواب وخرج للقتال ، فتظاهر الأمير بالتقهقر وتراجع نحو الكمين وتبعه الأعداء هاجمين حتى إذا ما وصلوا إلى مكان الكمين خرج منه باقى الجند وأحاطوا بالحلفاء فأبادوهم عن آخرهم ، واحتز عسكر محمد ٨٠٠٠ رأس من رؤوس أعدائهم وأقاموا منها أكداسا ، وعاد محمد ظافرا بعد أن قتل ٢٠ ألفا ، ثم أمر بأن تعلق بعض هذه الرؤوس على أسوار قرطبة ، ثم أمر قواده وابنه المنذر بمداومة غزو طليطلة وإرهاق أهلها بشتى الضرائب ، ثم ضاعف الجزية على مسيحي قرطبة وهدم أحد أديرتهم ، ولكن على الرغم من ذلك استمر بعض المنهوسين فى حركتهم الاستشهادية ، ولم يمض وقت طويل على هذه الحوادث حتى اختارت طليطلة بولجوس رئيسا لاساقفتها ، وامتنع الأمير عن الموافقة على هذا الاختيار ولكن الاساقفة أصروا على رأيهم فوافق الأمير ، وما لبثت أن ثارت طليطلة مرة أخرى فهاجمها الأمير بجيشه وحرق مبانيها وأغرق جيوشها فى نهر التناجة وتركها قاعا صفصفا

ولما عاد إلى قرطبة سنحت له فرصة للتخلص من أعداء المسلمين وهو يولوجيوس ، وكان قد عاد إلى قرطبة وأخفى فتاة تسمى ليوكر يتا في منزله ، وكانت من أبوين مسلمين واعتنقت المسيحية باغراء إحدى الراهبات ، ولما بلغ خبر اختفائها القاضي أمر بمهاجمة منزل يولوجيوس وقبض الجند عليها وعليه ، وحاكمه القاضي وأمر بمجلده ، ولكن القس رفض الجلد وأخذ يسب النبي حتى يأمر القاضي بإعدامه ولكن القاضي تردد في توقيع العقوبة رافة به وأرسله إلى الوزراء حتى يراجع نفسه وينكر السب ، ولكنه لم يفعل فضربت عنقه في ١١ مارس سنة ٨٥٩م وأعدمته الفتاة بعد ذلك بأربعة أيام ، وقد حزن النصارى حزنا شديدا لموت شهيدهم ورفعوه إلى مقام القديسين ، وطلب الفونسو ملك ليون بعد ذلك بأربع وعشرين سنة من الأمير الأموي أن ينقل رفات هذا القس مع الفتاة إلى ليون فأجيب إلى طلبه

أخذت حركة الاستشهاد بعد ذلك في الضعف لأنها فقدت مثير ضرامها وبعد زمن قليل انقلبت هذه الحركة الجنونية إلى حرب علمية بين المسيحيين والمسلمين في أنحاء اسبانيا

انتشار الفتن والفوضى في البلاد

أولا - إغارة النورمان للمرة الثانية :

بينما كان الأمير يطنىء تار الثورة في طليطلة ويخضعها لسلطان قرطبة أعاد النورمان الكرة على شواطئ اسبانيا في عام ٩٤٥ هـ ، فأغاروا أولا على سواحل جليقية ، ثم مضوا في ستين مركبا إلى شواطئ الاندلس فنزلوها وعاثوا في أقاليم ريه ومالقه ورنده ، واحرقوا المدائن المجاورة للبحر ، وهدموا كثيرا من

المباني والقلاع التي كانت معدة لمراقبة الطوارىء الخارجية ، وخرّبوا جامع الجزيرة الخضراء المسمى بمسجد الرايات ، ولما بلغ خبرهم الامير ارسل فرسانه ليدفعوا غائلتهم ، ففر النورمان إلى شواطىء افريقية ثم عادوا إلى ساحل تدمير ودخلوا عاصمتها اريولة ونهبوا كثيرا من قرى المسلمين ، وحمل عليهم الاسطول الاندلسي فحطم بعض سفنهم بعد قتال عنيف استشهد فيه كثير من المسلمين ، وتراجع النورمان الى جزائر ميورقة ومنورقة وخرّبوها ، ثم ساروا الى سواحل القرنجة ووروعوا الأهليين وغنموا غنائم لا تحصى ، ووصلوا الى بنبلونه عاصمة ناظارواستولوا عليها واسروا حاكمها وقضى نفسه بسبعين الف دينار ، ثم انصرفوا فلقبتهم مراكب الامير وقتلواهم وغنموا مركبين ، ورجع النورمان الى شواطىء اسكندناوة ومراكبهم مثقلة بالغنائم وذلك في عام ٢٤٦ هـ ٨٦٠ م .

ثانيا : اغارة اردونو :

واغار اردنو ملك ليون على الاملاك الاسلامية الواقعة في جنوب نهر دوبره في عام ٢٤٦ هـ ، وتغلب على والى الحدود زيد بن قاسم ، واستولى على كثير من المدن والحصون منها كوريا وسلمنقة وقتل رجال هاتين المدينتين ، ففرع الامير من انتصار اردونو ، وارسل جيشا على رأسه ابنه المنذر لمحاربة هؤلاء النصارى والعمل على استرداد المدن والحصون ، ونجح المنذر في حملته واسترجع المدينتين وقتل عددا كبيرا من اعداء قرطبة ، ثم حول جيشه الى الشمال الشرقى وعبر نهر الابرو ، ودخل نفا وباغ ارض بنبلونه واتلف ثمارها وحاصلاتها ، وافتتح ثلاثة حصون منها حصن قشتيل واسر بطلها المسمى فرتون بن غرسيه ، وحمله إلى قرطبة فمكث بها ٢٠ عاما .

أغار نصارى جليقية بعد ذلك بثلاث سنوات على أملاك المسلمين المناخمة لهم ونهبوها وخرّبوا كثيرا من المدن والمباني ، فأمر محمد قواده وجيوشه بالزحف عليهم ، وخرج بنفسه غازيا وانضم اليه فرسان ماردة وحارب هؤلاء النصارى ودخل بلادهم ، وتقهقر الأعداء أمامه ورجع الأمير عن طريق طلبيره وانجبه نحو طليطلة لتأديبها .

ثالثا : ثورة حفصون :

قامت ثورة هائلة في بلاد ارجون العليا على حدود الفرنك يقودها شقي يعرف بحفصون وذلك في سنة ٢٥٠ هـ ، واتخذ حصنا من حصون اليهود يعرف بروطة اليهود مقرا له ، وهو حصن منيع على قمة جبل صخري ويقع في ولاية سرقسطة ، وقد انضم اليه نصارى تلك الجهة وشقوا عصا الطاعة ضد الأمير ، وكانت جموع حفصون تنقض من الجبال كالسيول الجارفة على البلاد فتروّعها وتخرّبها ، وتعرض أهلها على نبد الطاعة والانضمام اليهم ، ومن أبي منهم كان جزاؤه القتل ، وبواسطة هذا الارهاب النف حول حفصون نفر كبير ، وانضم والى لارده اليه ، وسلحه المقاطعة وتبعه قادة القلاع الأخرى وغيرهم من اليهود والنصارى ، وامتد لهب الثورة في زمن يسير حتى عم جميع الأقاليم الواقعة على شاطئ نهر أبرو الأيسر ، ولم يحرك والى سرقسطة سا كنا في إيقاف هؤلاء الثوار عند حدهم بسبب غضب الأمير عليه ونهض الأمير لأطفاء نار الثورة ، وكتب إلى ولاته المخلصين بجمع الجيوش ، وذهب بنفسه إلى طليطلة على رأس جيش كبير ، وأمر ابنه المنذر بمراقبة حدود جليقية ، واجتمع جنود مرسية وبلنسية تحت قيادة زيد بن قاسم حفيد الأمير ، وزحفوا للانضمام إلى جيش قرطبة ، وذلك بقصد الزحف على شاطئ نهر الأبرو

لمطاردة حفصون النائر واسترداد المدن والحصون التي استولى عليها ، ولما رأى النائر أن لا قبل له على منازلة كل هذه الجيوش الجرادة عمد إلى الخداع ، وكتب إلى الأمير يسترضيه ويطلب إليه أن يأمر الجيوش الزاحفة عليه بالانضمام اليه حتى يحارب الفرنج فخدع الأمير ورجع بالجيوش التي كان يقودها إلى معاونة ابنه المنذر في حروبه ضد جليقية ، وأمر حفيده بالانضمام إلى حفصون ، ونفذ زيد الأمر ، وتظاهر حفصون بالاخلاص والولاء ، ولكنه أنقض على جيش زيد في ظلام الليل وإبادته وقتل زيد في المعركة بعد أن دافع دفاع المستميت ، وكان ذلك عام ٢٥٢ ٨٦٦ هـ م .

هلع الأمير لنبا هذه الفاجعة واستدعى ابنه المنذر من حدود جليقية ، وطلب إليه محاربة الخائن وحليفه عبد الملك وإلى لاردة حر با عوانا ، وزحف المنذر على أودية العصاة ، وقاوم حفصون وحليفه مقاومة عنيدة ، ولكن المنذر انتصر وأسر عبد الملك وقطع رقبته وأرسلها إلى قرطبة ، ثم استولى على روضة اليهود وكر الخائن الذي فر إلى ركن منيع من أركان جبال البرانس ، وكان من نتائج هذا الانتصار أن خضعت لاردة وحصون أخرى إلى سلطان قرطبة ، ثم عاد المنذر إلى العاصمة ظافرا فاستقبل فيها استقبالا عظيما وذلك في عام ٢٥٢ ٨٦٦ هـ م

رابعاً : الحروب ضد سرقسطه:

ظهرت أسرة في ولاية سرقسطه وما حولها تعرف بأسرة بني قصي ، ويرجع نسبها إلى القوط الذين وجدوا في أوائل الفتح العربي ، واشتهر من أفرادها الكثيرون منهم لب ومحمد وموسى وغيرهم ، وقد وصلوا إلى مراكز سامية في

عهد الدولة الاموية ، وتولوا حكم المقاطعات التي حول سرقسطة ومنهم من حكم في مدينة طليطلة

وقد ظل أفراد هذه الاسرة مواليين لقرطبة حتى زمن محمد بن عبد الرحمن ، ولكن حدث بعد ذلك أن ظهر من بينهم موسى الثاني واتخذ مدينة سرقسطة عاصمة له ، واستقل بها عن إمارة قرطبة ، وحالف طليطلة وحارب كونت يرشولونه وملك قشتاله والفرنجية ، وأهان شارل الجسور أمير برغنديّة ، وعلت كلمته وعظمت سطوته فنادى بنفسه ملكا ثانيا لاسبانيا ، ثم تحالف مع الفونسو الثالث ملك ليون الذي خلف اردونو على العرش سنة ٨٦٦ م ، وأصبح أمره خطرا على الاندلس ولذلك جمع الأمير في سنة ٨٦٩ م جنود الاندلس ووجهها تحت قيادة ابنه المنذر الى سرقسطة لاختضاعها ، وزحف المنذر بجيشه عليها وأغلق الوالى أبوابها وحاصرها ٢٠ يوما . ولما طال الحصار تركه المنذر ، ودخل أرض نفاره ونهبها ثم عاد إلى سرقسطة وحاصرها ، وبقي في اسبانيا الشرقية حتى سنة ٨٧٠ م ٢٥٧ هـ وفي تلك السنة مات موسى فسلمت المدينة إلى المنذر ، وفي أثناء تلك المدة ثارت طليطلة بقيادة عبد الله بن لب بن موسى الأول ، فزحف عليها المنذر بجيشه ، وبعد مناوشات سلمت المدينة في سنة ٨٧١ م ، وقبل الأمير أن يعفو عن رؤساء عصيان الماضي ، ثم رجع المنذر إلى قرطبة فقبول بغرغ عظيم

خامسا : خروج ابن مروان في ماردة :

جمع عبد الرحمن بن مروان الجليقي رجاله في سنة ٢٦١ هـ وقصد قلعة الحنش في جنوب ماردة وملكها ، وأعلن الثورة ضد محمد بن عبد الرحمن أمير قرطبة ، ثم ضم اليه عصابة أخرى يقوها ثائر يسنى سعدونا ، ودعا الى جيشه كل

مولدى ماردة وغديرها ، وتحالف مع الفونسو الثالث أمير ليون ، ثم أخذ يبشر بدين جديد وسط بين الاسلام والنصرانية ، ولما وجد الامير أن أمره استفحل فى تلك الجهات الغربية أرسل اليه جيشاً تحت قيادة وزيره هاشم فى سنة ٥٢٦٢ هـ فأرسل الجليقى سعدونا الى حليفه الفونسو الثالث يطلب منه المعونة والمدد ، ثم خرج من بطليوس ، وتوجه إلى حصن كركى وانضم اليه أهل ماردة ، ثم وصل المدد من حليفه على رأسه سعدون ، واستعد الجميع لمنازلة هاشم ، وتقابل الجمعان ودارت بينهما معركة دموية انتهت بفوز الجليقى وانهزام قوة الامير وأسر هاشم وأرسل الى ليون ليبقى فيها تحت الاسر حتى يفدى ، وقد افتداه الامير بقدر كبير من المال فأطلق سراحه بعد أن ترك اخويه وابن اخيه رهائن على باقى الفدية

وقد جاء فى ابن خلدون : أن عبد الرحمن الجليقى هزم هاشماً وأسره فى عام ٥٢٦٣ هـ ثم وقعت المراودة فى الصلح على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشماً ، فتم ذلك سنة ٥٢٦٥ هـ ، ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها بعد سنتين ونصف من أسره ، وبهذا أصبح ابن مروان سيد تلك الجهات لا ينازعه فيها منازع

سادساً : خروج عمر بن حفصون :

يؤخذ من التواريخ العربية والافرنجية ان عمر ينتسب إلى أسرة قوطية شريفة عريقة فى النسب ، وان أباه حفصون قد اعتنق الاسلام ، وانه هاجر من موطنه الأصلى فى شمال مالقه الشرقى ، واستوطن جبال رندة فى سفح جبل يبشر وأن المعيشة بين الجبال والغابات والمضايق غير المطروقة أثرت فى طباع الشاب عمر فانقلب لصا قاطع طريق ، واعتدى على الأرواح والأموال ، وطارده الحكومة

ويثس والده من تثقيفه فطرده من منزله ، وترك عمر اسبانيا وعبر البحر وقصد افريقية ونزل بمدينة ناهرت ، واشتغل خياطا عند أحد معارف أبيه ، ثم ترك الابرة وأخذ السيف ، وعاد إلى الاندلس وجمع حوله شبانا على شاكلة ، وأخذ جبل ببشتر حصنا له ، وأخذ هو وعصابته يقطع الطريق ويخطف البهائم ويفرض ضرائب فادحة على المزارع والزراع ، ثم استفحل أمر عصابته وتفاقم شرها وهاجت المدن التي تقع حول مدينة ريا

واقليم ريا اقليم جبلي يبعد قليلا عن الساحل الجنوبي وعاصمته ارفيدونه وسكانه كلهم من الاسبان واعتنق أكثرهم الاسلام وكانوا ذوى جرأة واقدام وقوة ، ومهنتهم قطع الطرق والتهرب ، وعلى الرغم من اعتناق أكثريتهم الاسلام كانوا دائما يعدون العرب أعداءهم مقتصبين لحريتهم وبلادهم

غضبت الحكومة الأميرية لكثرة الاعتداءات التي وقعت من عمر ، وأمرت واليها في ريا ان يطارد هؤلاء اللصوص ففعل ، ولكنه غلب على أمره وانهزم أمام العصاة فعزله الأمير وولى مكانه واليا جديدا ، فهادن العصاة ، ثم عاد الوزير هاشم بعد ذلك إلى هذه الجهة ، وطلب إلى عمر وعصابته ان يذهبوا إلى قرطبة فأجابوا الطلب ، واستقبلهم الأمير استقبالا عظيما وأدخلهم الجندية ، وفي صيف سنة ٨٨٣ م سار عمر ورجاله في ركاب هاشم لقتال محمد بن لب رئيس بني موسى والفونسو ملك ليون ، وقام بأعمال جريئة في الحرب ، ولكنه مل حياة الجندية المنتظمة وعاد إلى عسيانه في عام ٨٨٤ م ، وطلب من الفرنج من سكان جبال البرانس ان يمدوه بما استطاعوا من الجنود ، ولما اجتمع لديه عدد كبير من الجنود أغار بهم على المدن والبلدان ، وقام بحكام سرقسطة وواشقة يردون هذه الاغارات ولكنهم غلبوا على أمرهم فاستنجدوا بالأمير ، وجيز الأمير

جيشا كبيرا على رأسه ابنه المنذر وسيره لرد هؤلاء العصاة والقضاء عليهم ، وفي صيف عام ٢٦٩ هـ حدثت معارك هائلة بين الطرفين انتهت بمعركة أيبار ، وهي تبعد عن بنبلونه ببضع فراسخ قتل فيها غرسية ملك نفارا ، وجرح ابن حفصون جرحا بليغا ولكنه فر إلى الجنوب

ولم تكن هذه المعركة حاسمة إذ استطاع ابن حفصون بعدها على الرغم من جراحه ان يجمع حوله الانصار ، وظل نائرا خارجا على إمارة قرطبة أما المنذر فقد بقي بعد المعركة في الشمال الشرقي ، وحاصر سرقسطة وعاث في نواحيها ، ثم فتح حصن روضة وأخذ منه عبد الواحد الروطى ، وكان أشجع أهل زمانه ، ثم قصد مدينتى لاردة وقرطاجنة وكان فيها اسماعيل بن موسى وحاربه ، فأذعن اسماعيل بالطاعة وأعطى رهائن ، ثم تقدم إلى إلبة والقلاع وفتح حصونا ورجع ، وقد وقعت هذه الغزوة بين سنتي ٢٦٨ ، ٢٦٩ هـ — ٨٨٢ م

استمرت نيران الثورة مندلعة في أنحاء الأندلس على الرغم من تلك الجهود الجبارة التي قام بها الأمير محمد وابنه المنذر ، وظلت القواد والجنود تكافح تلك الثورات في الجهات المختلفة ، ويروى انه في سنة ٢٧١ هـ عاد المنذر إلى الحرب وسار إلى مدينة بطليوس ، ففر منها ابن مروان الجليقي وكان قد عاد إلى الثورة وتمحصن بأشير غرة فأحرق المنذر بطليوس ، وسير الأمير في الوقت نفسه جيشا مع هاشم بن عبد العزيز إلى مدينة سرقسطة التي ثارت بزعامة محمد بن لب بن موسى يساعده حليفه ابن حفصون ، وحارب المدينة واستولى عليها ، وفر النائران إلى الجبال ولكنهما ظهرا مرة ثانية بعد عودة الجيش إلى قرطبة ، واستعصم ابن حفصون بمدينة الحامة ، فخرج إليه المنذر وحاصره لمدة شهرين ، وأخيرا خرج المحاصرون وهاجموا جيش المنذر فتغلب عليهم ، وجرح ابن حفصون وقد احدى يديه ،

ولكنه استطاع الفرار الى الجنوب حيث تحصن في جبال بيستر
أما ابن مروان فقد أغار على اشبيلية ، فأرسل الأمير اليه جيشا لمحاربتة ،
ودارت رحى الحرب بين الفريقين وانتهت بأن طلب ابن مروان الصلح على أن
ينحضع لامارة قرطبة فقبل الأمير وصالحه ، واستقام ابن مروان على طاعته
حتى مات

وفاة محمد بن عبد الرحمن :

توفي محمد ليلة الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة ٢٧٣ هـ (أغسطس
٨٨٦ م) وقد ورد في ابن عذارى في وصفه ما يأتي :
« كان الأمير محمد فصيحاً بليغاً عظيم الاناة ، يؤثر الحق وأهله ، لا يسمع
من باغ ، ولا يلتفت إلى قول زائع ، وكان عاقلاً ، على أخلاق جميلة ، ومكارم
حميدة ، وذا بديهة وروية ، وفيها لمواليه في أنفسهم وفي أعقابهم ، لا يكدر عنده
في شيء من أحدهم فيسمعه أو يُسمعه ، وكان محبوباً في جميع البلدان »

الفصل الثاني

المنذر بن محمد (٢٧٣ — ٢٧٥ هـ) (٨٨٦ — ٨٨٨ م)

تولى إمارة الأندلس بعد وفاة أبيه ولقد كان يحارب بن حفصون عند ما بلغه خبر الوفاة . فترك ميدان الحرب وأسرع بالعودة إلى قرطبة ليتولى شئون البلاد ، ولم تطل مدته بل قام بأعباء الملك نحو سنتين قتل في أثناءها وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز في شوال سنة ٢٧٣ هـ . وقاتل ابن حفصون وأنصاره ومات وهو يحاصره في سنة ٢٧٥ هـ

وقد اختلف المؤرخون في حوادث المنذر اختلافا شديدا فمنهم من قال ان قتاله لابن حفصون كان في الجنوب ، وان هذا خدعه وأخذ منه مائة بغل في أول حصاره لقلعته ، ومنهم من قال إن القتال كان في الشمال ، وان ابن حفصون خدع هاشما وهو يحاصره في طليطلة وأخذ منه البغال ، وان المنذر قتل وهو يقاتل أنصار ابن حفصون في قلاعهم على شواطئ نهر التاجة ، وكان أخوه عبد الله يحاصر طليطلة

وذكر دوزي : ان المنذر بعد ان عاد من الحامة الى قرطبة لوفاة أبيه اغتتم عمر ابن حفصون الفرصة ووسع سلطانه ، وعاد اصحاب الحصون التي بينه وبين الجنوب إلى طاعته ، فأجابوه الى ما طلب ، واصبح بذلك الملك الحقيقي للجنوب ، ولكن المنذر قاومه مقاومة عنيفة ، وارسل اليه الجنود وطارده مطاردة شديدة ، واصبحت اقاليم قبرة والبيرة وجيان ميادين حروب دموية بين الطرفين تعاقب فيها النصر

والخذلان لكل منهما ، وفي عام ٨٨٨ م خرج المنذر بنفسه لملاقاة الثوار ، واستولى على الحصون وخرب ضواحي بيشر وحاصر ارشدونه ، وكان فيها عيشون احد قواد ابن حفصون ، وكان مشهورا بالشجاعة وقوة البأس والاقدام يشق بنفسه في القتال إلى حد بعيد ، فخاربه المنذر حربا عوانا ، وأخيرا احتال على أسره بواسطة جماعة من أنصاره ، ولما أسر وقدم إلى المنذر صلبة وجعل على يمينه خنزيرا وعلى يساره كلبا محققا بذلك الطريقة التي رسمها لنفسه قبل أسره ، إذ كان يقول إذا ظفر بي السلطان فليصلبني ويصلب على يميني خنزيرا وعلى يساري كلبا

استولى المنذر بعد ذلك على أرشدونه ثم فتح حصون بني مطروح بمجبل باغه ، ثم تقدم لحصار حصن بيشر ، وضيق الخناق على ابن حفصون ولما لم يجد الناصر بدا طلب الصلح من المنذر على أن ينتقل هو وأهله إلى قرطبة ، وينتظم هو في سلك الجندية لخدمة الأمير ، فأجابه المنذر الى ما طلب ، وحضر الناصر أمام الأمير والتمس منه أن يبعث الى بيشر بمائة بغل ليحمل عليها أثقاله الى قرطبة ، وأمر المنذر بارسال البغال تحرسها قوة الى بيشر ، ولكن عمر غافل الحراس واستولى على البغال وقتل عددا كبيرا من الجند وعاد الى عصبانه ، ولما بلغ المنذر خبر غدر الناصر أقسم أن يخرج لحصاره والقضاء عليه ، ونفذ قسمه ولكنه مات في أواخر يونيو سنة ٨٨٨ م منتصف صفر عام ٢٧٥ هـ قبل أن يقهر الناصر

وفي رواية أخرى ان المنذر كان يحارب ابن حفصون ويطارده في كل مكان واستمر القتال بينهما أكثر ، من سنة ، وان شجاعة المنذر وحيمته دفعته ان يلقي

بنفسه وفئة قليلة بين أعدائه الكثيرين ، وقاتلهم بشجاعة فائقة حتى قتل منهم عددا كبيرا ، ولكن الثوار أهدقوا به وبفرسانه وأصابوه بعدة رماح ، فسقط صريعا في ميدان القتال وكان ذلك في صفر ٢٧٥ هـ

وفي رواية ثالثة أن المنذر مات مسموما بإيعاز من أخيه عبد الله الذي أغرى طبيبه بفصده بسلاح مسموم ، وبموته فقدت الأندلس قائدا جريئا وجنديا مدربا ، ولقد اجمع مؤرخو الأمويين أنه لو عاش سنة زائدة لاضطر عصاة الجنوب إلى القاء السلاح ، وإعلان الخضوع لأمير قرطبة

الفصل الثالث

عبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ - ٨٨٨ - ٩١٢ م)

صعد على كرسى الامارة بعد وفاة أخيه ، وكان فى الخامسة والأربعين من عمره ، وقد ذكر المؤرخون أنه لما علم ب وفاة أخيه أسرع إلى أخذ البيعة لنفسه ، ثم سار بجثة أخيه إلى قرطبة واسكن الجند فى الطريق انفضوا من حوله فرارا من أهوال القتال فوصل بجثة أخيه إلى قرطبة وليس معه أكثر من ٤٠ فارسا ، وتولى الامارة فى ظروف سيئة تنذر بأفول نجم بنى أمية فى الأندلس ، واشراف دولتهم على هاوية الخراب والانحلال ، إذ لم تعد الثورة قاصرة على ابن حفصون والاسبان المولودين منهم والمسيحيين ، بل عمت جميع الجهات ، وأصبح العرب أنفسهم يتطلعون إلى الانفصال ويفكرون فى الاستقلال عن امارة قرطبة ، وثار العصبية من جديد ، ولم يكن هناك بد من مصالحة أحد القريقتين ، الاسبان أو أمراء العرب فاختار عبدالله أن يصالح الاسبان ، وتقرب الى ابن مروان واعترف باستقلال مقاطعة ريجيو على ان يظل ابن حفصون مواليا له ، ونجحت هذه الخطوة أول الأمر ولكن ابن حفصون لم يلبث أن عاد إلى عداائه ، وأطلق جنده ينهبون القرى والمدائن حتى وصلوا إلى أسوار قرطبة ذاتها ، فحفظت هذه السياسة الخرقاء أمراء العرب الذين رأوا استحالة موالاة من حالف أعداءهم الاسبان ، وتقرب اليهم على حسابهم ، ومع ان العرب كانوا أقلية ممنازة يحيط بهم خصوم الداء من الاسبانيين والبربر يفوقونهم فى العدد ، فانهم نسوا ما يستوجب حراجه موقفهم من ضرورة الالتفاف حول عرش الامارة فى قرطبة ، فقاموا ضدها وأسسوا إمارة فى أشبيلية على رأسها

ابن الأمير المسمى محمدا وأصبحت تنافس أمارة قرطبة ، وشاركهم البربر في سخطهم واستيائهم . وانتهز الجميع فرصة ضعف الأمير وسوء سياسته للاستقلال عنه وقطع الصلة به ، فارتبكت أحوال الأندلس ارتباكا شديدا إذ أصبح ميدانا للمعارك ومنازعات القبائل الفاتحة وغيرها ، فان رؤساء الأقاليم اتخذوا سريان الفتن والشقاق بين الأسرة المالكة وسيلة لنيل استقلالهم والعمل على استئصال الدولة الأموية من اسبانيا واليك البيان :

أولا : النزاع بين العرب والاسبان في البيرة :

كان الاسبانيون هم السواد الأعظم من سكان مدينة الفيرا على مقربة من غرناطة . أما العرب فكانوا أقلية تنزل نفسها منزلة ممتازة . وتتعالى على الاسبانيين من اعتنق الاسلام منهم ومن بقى على دينه . فكثر التصادم بين العنصرين وفي عصر عبدالله كان الاسبانيون من أهل البيرة في نزاع دموى عنيف مع مواطنيهم العرب الذين كانوا إذ ذاك يجاهرون السلطان بالعداء ، وقد أمروا عليهم زعيما اسمه يحيى بن صفالة من بني قيس . وغلب العرب على أمرهم في هذا الصراع الذي تجمعت عليهم فيه جموع الاسبان من مولدين ومسيحيين ، فسقطت حصونهم في أيدي الاسبانيين ، ولما صالحوا أعداءهم غدر بهم هؤلاء مما زاد الطين بلة أن تجددت بين العرب الحزازات ، وتفرقت كلمتهم ، فهاجم اليمانيون بني معد ، وبعد أن أدركا سوء المنقلب اتصلح الفريقان ورضيا بزعامة قيسى اسمه سوار بن حمدون وكان عدوا للودا للسورين في قرطبة ، فاسترد لهم حصونهم ، ولولاه لاستنصت شأفة العرب ، وبدأ يجمع كلمة العرب . ثم استرد ما كان لهم من حصون شمال غرناطة . وقتل سنة آلاف من الاسبانيين ، وتتابعت انتصاراته فكان لا يترك

أحدا من الاعداء يفلت من يده بل حاربهم حرب إبادة وفناء فاستنجدوا بمجاد أمير البيرة (البيرة) ووعدوه بالدخول في طاعته . فسار لنصرتهم ولما التقى الجمعان كان النصر حليف سوار ، وهرب الاعداء لاجئين إلى أسوار البيرة وقتل منهم ٧٠٠٠ . ووقع جادا سيرا وتسمى هذه الموقعة موقعة جاد ، وقد فرح العرب بما أتوا من نصر ، وحالف سوار أهل ريجيو وجيان وغيرهما مما جعل الأمير عبد الله بن محمد يتقرب إليه ، ويعرض عليه إمارة البيرة ، وقبل سوار الإمارة وصالح الاسبانين . وعند ذلك فكر سوار في إخضاع ابن حفصون ، ولكن الاسبانين عادوا إلى امتشاق الحسام لإبادة خصومهم والتخلص من قسوتهم وظلمهم ، فهاجموا العرب من كل ناحية واضطروهم إلى الالتجاء إلى حصن الحمراء بفرناطة ، وظل الحصن يتلقفه فريق بعد الآخر حتى انتهى الأمر إلى تضيق الاسبانين الحصار على العرب فيه ، ولما رأى سوار أن البقاء في داخل الحصن معناه الموت جوعا خرج بجموعه وهاجم الاسبانين بعنف شديد ، فاضطروا إلى الفرار ، وتبعهم العرب فأفنوا منهم اثني عشر ألفا وطاردهم إلى أسوار البيرة

واضطر الاسبانين في ساعة يأس إلى الاستنجاد بمواطنهم عمر بن حفصون الذي كان على مقربة منهم فدخل البيرة ونظام جيشها وجمع شمله ، ثم خرج للقاء سوار وكان هذا قد استنفر عرب ريجيو وجيان فلما التقى بعمر هزمه واضطره إلى الفرار ، ولكن سوارا وقع بعد ذلك في كمين نصبه له أهل البيرة وقتل ثم حملت جثته إلى البيرة حيث قطعت نساؤها جسده واكلته أكلا انتقاما لأزواجهن وابنائهن الذين صرعهم في حروبه ومعاركه . واختار العرب من بعده سعيد بن جودي أنبل قومه محندا ، وأعظمهم شهامة وفروسية وأفرهم كرامة وبسالة ، وأكرمهم خلقا وكان شاعرا فصيحاً وفارساً مغواراً وكان ابن حفصون يرهبه ويخشى نزاله ، وقد

استطاع العرب تحت رياسته أن يستولوا على البيرة .

ثانيا : ثورة أشبيلية :

في اثناء الصراع بين الاسبانيين والعرب في البيرة كانت تجري أحداث على اعظم جانب من الخطورة في اشبيلية ، تلك المدينة القديمة العريقة في الحضارة القوطية ، وموطن اعرق الاسر ، اوسعها غنى وجاها ، وكان معظم اهلها من الاسبان نسل القوط والرومان لم يدخلوا في الاسلام إلا حديثا على عهد عبد الرحمن الثاني ولذا ظلوا محتفظين بعاداتهم واسماهم القديمة ، فكان منهم بنو انجيلو وبنو ساباريكو ، وتخلق بأخلاقهم من خالطهم من العرب ، وساروا في طريق تمدنهم وكان بلدهم ثغرا من اهم ثغور الاندلس ، والشجاعة والزراعة مصدر ارزاقهم والامن مخيم بجناحيه فوق مدينتهم ، والناس مسالمون بطبيعتهم ، وعلاقهم بأمر الاندلس على أتم صفاء وولاء إذ كان في نظرهم حاميه من الفتن والحروب والعدوان ، وكان جيرانهم من العرب المشاغبين يحسدونهم على سعة ثرائهم ورخاء عيشهم ، وينطلقون إلى الاغارة على مدينتهم ونهبها ، وكان الاشبيليون يتوقعون ذلك منهم ، فكانوا يحناطون خشية ان يؤخذوا على غرة ، وكان اهم بيوتات العرب في الاقليم المجاور لاشبيلية بنو حجاج وبنو خلدون . اما بنو حجاج فهم وان كانوا عربا إلا انهم من نسل عمر اللخمى وزوجته سارا حفيدة غيطشه . وكان بنو خلدون من سلالة يمنية وزعيمهم يسمى كريب يكره أمير الاندلس ، ويود لو استقل بأشبيلية ، فرأى ان يتزعم نورثها وأخذ يحدث العرب من أهلها عن الحرية ، ولكنهم كانوا جميعا من قريش ومن موالى الأمويين فلم يلتفتوا لأقواله ، وفضلوا حكم بنى أمية على الفوضى التي

يحدثهم عنها كريب ، فأنجيه بجهوده إلى عرب البادية وعرب المغرب (البربر)
في قرمونة ، ومنهم من نهب اشبيلية ، والاستيلاء على ثروتها الهائلة فاقى منهم سميعا ،
وأغاروا على اشبيلية التي كان يسيل لعابهم لنهبها ، ويتحرقون شوقا لقتل أهلها
وسبي نساها ، ولما قابلهم حاكم المدينة هزموه وخربوا ضواحي اشبيلية وعادوا
إلى ديارهم بمادة مثقلين بالغنائم والاسلاب ، ولما علم ابن مروان أمير بطليوس بما
غنمه البربر زحف هو أيضا على اشبيلية ونهب ضواحيها ، عندئذ اشتكى أهل
اشبيلية إلى الأمير عبد الله فقاعس حاكمهم عن الدفاع عنهم فغيره ، ولكن
خلفه لم يكن بأحسن منه ، فازدادت الفوضى وكثر الغزو والسطو ، وأخيراً قام محمد
ابن غالب من المولدين وبنى حصناً في مدخل اشبيلية وشحنه بالمقاتلة ، وصد
المغيرين عنها ، وقتل أحد بني حجاج فشكوه إلى أمير الأندلس ، فأرسل عبد الله
ابنه محمد إلى عهد الامارة للفصل بينهما ، فحكم لصالح ابن غالب فغضب بنو
حجاج وأسرع كريب إلى الاستيلاء على قرمونة وما جاورها ، فارتبك محمد
وأرسل إلى أبيه عبد الله يطلب المشورة منه ، فقرر رأيه على ارسال مولاه جاد ، الذي
كان سوار قد اطلق سراحه ، بجنود إلى اشبيلية لقتال ابن غالب واقناع بني حجاج
والعرب والبربر بالخضوع للامارة ، فأتى جاد مهمته ، ولكن هذا الغدر الشنيع
بمن اخلص الولاء للأمير والتقرب بدمه إلى خصومه واعدائه الإلانة لقلوبهم
وتقلبا لاظفار ضعفهم كان عملاً من أعمال الحماقة منقطع النظير ، وترتب عليه
ثورة المولدين في اشبيلية انتقاماً لابن غالب واصرارهم على قتل أمية حاكم اشبيلية
وأخي جاد ، فهاجموا قصره ، واجبروه على الاتجاه إلى قصر الأمير محمد ، وأحاط
الثوار بقصر الأمير وهاجموا حماه ، ولكن جادا أسرع بجنده وفرسانه لنجدة
أخيه وقامت حرب طاحنة سالت فيها الدماء أنهاراً وانتهت بهزيمة الثوار ، وأعمل

جاء وجنده السيف في رقاب اهل اشبيلية المولدين ، ونهبوا متاجرهم ودورهم ،
والقوا بجثثهم في الوادي الكبير . وخشى جاد على نفسه فانضم الى اخيه امية ،
ولكن احد اخوة ابن غالب قتل جادا غيلة اخذا بثأر أخيه ، وفخر شعراء اليمن
بهذا الانتصار ، وانتفع بنو حجاج و بنو خلدون و حدهم بهزيمة مولدى اشبيلية
فأصبحوا سادة هذه المدينة ، وفشلت جهود امية في الايقاع بينهم ، وقاتلوه حتى
قتل ، واستقل باشبيلية ابراهيم بن الحجاج و كريب ٨٩١ م وهي السنة الرابعة لولاية
عبد الله بن محمد ، وفيها خلع جميع الأمراء المولدين والعرب والبربر طاعة عبد الله ،
واستقل كل بما تحت يده من تراث الدولة الأموية ، وكان الأمراء العرب اقل
الجميع نصيبا ولم تكن لهم شوكة ظاهرة الا في اشبيلية ، اما فيما عداها فقد كانوا
يحاولون الاحتفاظ بما كرههم ضد العنصرين الآخرين
واحس الكثيرون امراء العرب بضعفهم فلم يجاهرُوا بالعداء للأمر بل ظلوا
متظاهرين بالولاء ينفذون من اوامره كلما كان يحلو لهم ذلك .

ثالثا — فتنة البربر :

توصل البربر كذلك وسط هذه الفوضى الى تأسيس دويلات مستقلة ، فاستقل
الملاحى بيجان ، واستقل ابن تاكيت بماردة ، وحارب ابن مروان امير بطليوس
وكانت امرة بنى ذى النون وزعيمها موسى و بنوه يحيى وفتح والمطرف تعيث
في الارض فسادا وخاصة في بلاد البرتغال

واستقل في اقليم الجرف بجنوب بلاد البرتغال بكر بن يحيى من اصل
اسبانى وان اعترف بالولاء لحكومة قرطبه

رابعاً — ابن حفصون :

ولكن ابن حفصون كان ألد أعداء الأمير عبد الله فقد ضم إليه سعيد بن مستنه الثائر على عبد الله بن محمد ، وأكثر من الاغارة على القرى المحيطة بقرطبة واجتاح جنوب الأندلس ، وعاث فيها فسادا ونهباً واحراقاً ، وأصبح سيد البلاد الواقعة جنوب نهر الوادى الكبير ، وأخذ يبنى نفسه بالاستيلاء على قرطبة ذاتها ، وكان يوقن بنصرة الاسبان له ، ووسط ابن الأغلب حاكم أفريقية فى الحصول على أمر من الخليفة العباسى بولايته على الأندلس ، ووجد فى نصارى قرطبة أعواناً له وحلفاء ، فقد مضى الزمن الذى كانوا يظهرون فيه مقتهم لمستعبدتهم بالاقدام على الاستشهاد ، وأن أوان القيام بدور إيجابى فى تحرير أنفسهم وبلادهم من نير المسلمين ، فانضم اليهم خدام الأمير مثل السكونت سرفاندوا الذى كان يمثله القس لشدة وطأته عليهم فى فرض الضرائب وتعريضه عظام القديسين لسخرية المسلمين ، وبدأ يقلب ظهر الحن للأمير ويداهن بنى جلده ، ويأتمر معهم على الثورة ، ولما اكتشف أمره هرب لاجئاً إلى ابن حفصون وكان هذا يقيم فى أستيجه على مقربة من قرطبة

وآل الأمر بقرطبة ان أصبحت محصورة من كل جانب ، لا ينأى أهلها إلا غرارا ، ويروعون فى منامهم بصياح القتلى على الضفة الأخرى من النهر ، وأصبحت عرضة للسلب والسبى وضاعت مهابة أميرها . واستطال عليه جنده وطلبوه بمؤخر رواتبهم ، وأصبحت خزيفته خاوية على عروشها ، وأقترض من الأغنياء مالا يمد به الموالىن له من أمراء العرب ، وقلت الاقوات فيها وزاد القلاء وعم البلاء ، وأصبح لا محيص عن تمزق ملك عبد الرحمن الداخل وسقوط دولة بنى

أمية في الاندلس ، وكان أتعس الناس حالا أميرهم عبد الله ، إذ أراه الله عاقبة
بغيه وقتله أخيه ولقد أجهد نفسه في استرضاء ابن حفصون ، ولكن أنى يرضى
صاحب المطامع بمعسول اللفظ وناعم القول ، وأخيرا أعياه اليأس ونال منه الجهد
فاعتزل الملك وأقام في صومعة زاهدا متنسكا يكتب أشعار الزهد
واستمر على هذا حتى صحت عزيمته على أن يموت في ساحة القتال موت
الاشراف

بدء الانقلاب :

تحرك عبد الله ومعه ١٨ ألفا. وكانت جنود ابن حفصون ٣٠ ألفا ، وبدأ القتال
بمناوشة صغيرة على مقربة من قرطبة انتصر فيها السلطان ، ثم زحف عبد الله بعدها
على حصن بولى وكر ابن حفصون ٨٩١ م ، فدافع عنه ابن حفصون وحكى وطيس
المعركة وقاتل فيها عبد الله بنفسه بين جنوده ، وتراجع أحد قواده عبد الملك بن أمية
وكاد عبد الله يفر منهزما لولا أن تقدم اليه قائد اسمه عبيد الله فثبته ، وقال له إلى
أين المفر يا أمير ، أتجعل ظهورنا نحو العدو فينتقض علينا ويقطعنا قطعاً ، تقدم ،
ويفعل الله ما يريد ، وإن ينصركم الله فלא غالب لكم ، فحمل عبد الله بجنده حملة عنيفة
وهزمت جنود بن حفصون ، وفر هارباً إلى حصن (بيشتر) ، وسقط حصن بولى
في يد عبد الله ، وغنم جنده غنائم كثيرة ، وسبق اليه الأسرى ، فغفا عن المسلمين
وعرض الاسلام على المسيحيين وكانوا ألفا ، فلما أبوا قبوله أمر بهم فضربت
أعناقهم وطارد ابن حفصون ، ولكن جنده ملوا القتال فعادوا إلى قرطبة .

ولولا انتصار عبد الله في موقعة بولى لسقطت دولة بني أمية ، فبهذا الانتصار
رجع للسلطان مقامه الأول وغاد إلى طاعته بولى واستنجه وأرشدونه والبحيرة

وجيان ، وانكسرت شوكة ابن حفصون ، وحصل انقلاب في الرأي العام ، ورأى الناس في أتمحاء الاندلس أن السلام في طاعة السلطان وترك الفوضى .

على أن بن حفصون انتهاز فرصة الهدنة ، وأخذ يغير على أملاك السلطان حتى استرد ما كان قد فقدته ماعدا البيرة التي استطاع السلطان انتزاعها منه والتفت عبدالله بعد ما تنفس الصعداء إلى الأمراء الثائرين عليه ، فأخذ يسوق اليهم الجيوش كل سنة . حتى أجبر كثيرا منهم على دفع الجزية ، وبهذه الطريقة استطاع أن يعمر خزائنه الخاوية ، ولكن ابراهيم بن الحجاج أمير أشبيلية استاء مما فرضه عليه عبدالله من جزية باهظة فتحالف مع ابن حفصون (٩٠٠م) الذي كان قد ارتد عن الاسلام واعتنق النصرانية ، هو وذوي قرباه (٨٩٩م) وكان من قبل يخفيها خداعا ، فانصرفت قلوب المسلمين من أنصاره عنه وناصبوه العداء ، ومع هذا دخل ابراهيم بن الحجاج في حلف معه ، واسترد ابن حفصون قوته الأولى بهذا الحلف ، فهاجم قرطبة ليلا ولكنه هزم ، وردته كتائب ابن أبي عبدة قائد عبدالله ، ورأى الأمير نفسه بعد كل هذا في حل من قتل رهائن ابن حفصون ، ولكنه عفا عن ابراهيم بن الحجاج استعادة لولائه ، فتأثر ابراهيم بهذا العفو وظل مقبلا بعد ذلك على الولاء ، وواظب على دفع الجزية ، وكان يرسل كتيبة سنوية إلى جيش عبدالله كما كان يفعل أمراء الاقطاع في تلك العصور ، على أنه مع ذلك ظل مستقلا في أشبيلية ، وحكمها حكما عادلا ، ففشر الأمن ، وأقام العدل ، وناصر العلماء والأدباء ، وقوى الجيش واستقدم المغنيات من بغداد والمشرق ، وأشهرهن قز ، وتقدمت التجارة وزاد الثراء في عصره ، وكان بلاطه منتجع الشعراء والعلماء من قرطبة ، وبسم الدهر لعبدالله بعد تجميعه ، فخضع له غرب الاندلس بعد طول تمحديه ، وواظب على دفع الجزية كما أفلح عبدالله في

اخضاع الجنوب ٩٠٣-٩١٠ م ، وخضع له الشمال ، وكذلك دخل لوب بن محمد أمير سرقسطه في طاعته ، واستمر على الولاء أخوه عبد الله من بعده ، وجدت أماره سرقسطه في مجاهدة المسيحيين في أقاليم نافارة وبرشلونة وليون

فتح العرب مغامرين لأقليم بروفنس والرفيرا :

من أغرب ما حدث على عهد عبد الله بن محمد من أحداث جسام أن خرج جماعة من العرب مغامرين يدفعهم حب الفتح إلى جنوب فرنسا ، واجتاحوا إقليم بروفنس ودوفيني ، واحتلوا نيس ومرسليا ، وعبروا جبال سينييس ٩٠٦ م ، واحتلوا بيد مونت وليغوريا (شمال إيطاليا) وجزءا من سويسرا حتى بحيرة كنستانس ، وهناك أقاموا مستعمرة نزلا فيها ، وفعلوا كل هذه العظام غير مسوقين من سلطان ولا أمير ، مما لم نسمع بمثله إلا في دور الاستعمار من تاريخ أوروبا الحديث وقد سرد الأمير شكيب أرسلان في كتابه « تاريخ غزوات العرب » شيئا كثيرا عن تاريخ هذه الغزوة فأرجع إليه

وفاة عبد الله :

وتوفي عبد الله في ربيع أول ١٥٥٣٠٠ هـ أكتوبر ٩١٢ م ، وعمره ٦٨ سنة بعد حكم طويل شهد فيه أحداثا جساما . وأهوالا شديدا ، فيه أشرفت الدولة الاموية على البوار ، وقاربت إلى الزوال ، على أنها شهدت من بعده استرداد لقواها ، ونهوضا عاجلا من كبوتها في عصر خلفه عبد الرحمن الثالث (الناصر)